

421 من 514 (تفسير سورة التوبة) 4 (- الآيات) 2-54 من

تفسير السعدي \ كبار العلماء

عبدالرحمن السعدي

المكتبة السمعية للعلامة المفسر الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله. يسر فريق مشروع كبار العلماء ان يقدم قراءة تفسير السعدي. فلما تبين انه لا حجة لهم على ما قالوه. ولا برهان لما اصلوه. وانما هو مجرد قول قالوه وافتراء افتروه - 00:00:00
اخبر انهم يريدون بهذا ان يطفئوا نور الله بافواههم الله دينه الذي ارسل به الرسل وانزل به الكتب وسماه الله نورا لانه يستنار به في ظلمات الجهل والاديان الباطلة فانه علم - 00:00:20
بالحق وعمل بالحق وما عداه فانه بضده. فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوهم من المشركين. يريدون ان يطفئوا نور الله بمجرد التي ليس عليها دليل اصلا. ويأبى الله الا ان يتم نوره لانه النور الباهر. الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على اطفائه - 00:00:50
ان يطفئوه والذي انزله جميع نواصي العباد بيده. وقد تكفل بحفظه من كل من يريد به سوء. ولهذا قال ويأبى الله الا ان يتم نورة ولو كره الكافرون. وسعوا ما امكنهم في رده وابطاله. فان سعيهم لا يضر الحق شيئا. ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل - 00:01:10
باتمامه وحفظه فقال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون هو الذي ارسل رسوله بالهدى الذي هو العلم النافع ودين الحق الذي هو - 00:01:30
العمل الصالح فكان ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم مشتملا على بيان الحق من الباطل في اسماء الله واوصافه وافعاله وفي احكام واخباره والامر بكل مصلحة نافعة للقلوب والارواح والابدان. من اخلاص الدين لله وحده ومحبة الله وعبادته. والامر بمكارم الاخلاق - 00:01:50
ومحاسن الشيم والاعمال الصالحة والاداب النافعة. والنهي عن كل ما يصاد ذلك ويناقضه من الاخلاق والاعمال السيئة. المضرة للقلوب والابدان الدنيا والاخرة. فارسله الله بالهدى ودين الحق. ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. اي ليعليه على سائر الاديان بالحجة - 00:02:10
برهان والسيف والسنان. وان كره المشركون ذلك وبغوا له الغوائل. ومكروا مكرهم. فان مكر السيء لا يضر الا صاحبه. فوعد الله لابد ان ينجزه وما ضمنه لا بد ان يقوم به - 00:02:30
والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم. هذا تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من الاحبار والرهبان. اي العلماء والعباد الذين يأكلون اموال الناس بالباطل. اي بغير حق ويصدون عن سبيله - 00:02:50
لله فانهم اذا كانت لهم رواتب من اموال الناس او بذل الناس لهم من اموالهم فانه لاجل علمهم وعبادتهم ولجل هدايتهم وهديتهم وهؤلاء يأخذونها ويصدون الناس عن سبيل الله. فيكون اخذهم لها على هذا الوجه سحتا وظلما. فان الناس ما بذلوا لهم من اموالهم الا ليدلوهم الى - 00:03:30
طريق مستقيم ومن اخذهم لاموال الناس بغير حق. ان يعطوهم ليفتوهم او يحكموا لهم بغير ما انزل الله. فهؤلاء الاحبار والرهبان ليحذر منهم هاتان الحالتان. اخذهم لاموال الناس بغير حق. وصدهم الناس عن سبيل الله. والذين يكتزون الذهب والفضة. اي يمسكونها - 00:03:50

ولا ينفقونها في سبيل الله أي طرق الخير الموصلة إلى الله. وهذا هو الكنز المحرم. أن يمسكها عن النفقة الواجبة. كان يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات أو الأقارب أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت. فبشرهم بعذاب اليم ثم فسره بقوله - [00:04:10](#) هذا ما تكتزون. يوم يحمي عليها أي على أموالهم في نار جهنم فيحتمى كل دينار أو درهم على حدته. فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم في يوم القيامة. كلما بردت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. ويقال لهم توييخا ولو ما هذا ما كنزتم لأنفسكم. فذوقوا ما كنتم تكتزون. فما - [00:04:30](#)

ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز. وذكر الله في هاتين الآيتين انحراف الإنسان في ماله. وذلك بأحد أمرين. أما أن ينفق في الباطن الذي لا يجدي عليه نفعاً. بل لا يناله منه إلا الضرر المحض. وذلك كأخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله - [00:05:10](#)

أخراجها للصد عن سبيل الله. وأما أن يمسك ماله عن إخراجها في الواجبات. والنهي عن الشيء أمر بضده. وقوله وقاتلوا كما يقتلونكم كافة يقول تعالى أن عدة الشهور عند الله أي في قضائه وقدره. اثنا عشر - [00:05:30](#)

عشرة شهراً وهي هذه الشهور المعروفة في كتاب الله أي في حكمه القدي يوم خلق السماوات والأرض وأجرى ليلاً ونهاراً وقدرها أوقاتها فقسماً على هذه الشهور اثني عشر شهراً. منها أربعة حرم وهي رجب الفرض وذو القعدة وذو الحجة والمحرم - [00:06:20](#) سميت حرماً لزيادة حرمتها. وتحريم القتال فيها. فلا تظلموا فيهن أنفسكم. يحتمل أن الضمير يعود إلى الثاني عشر شهراً أن الله تعالى بين أنه جعلها مقاديراً للعباد. وأن تعمّر بطاعته. ويشكر الله تعالى على منته بها. وتقييدها لمصالح العباد. فلتحذروا - [00:06:40](#) من ظلم أنفسكم فيها. ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم. وأن هذا نهى لهم عن الظلم فيها. خصوصاً مع النهي عن الظلم كل وقت. لزيادة تحريمها وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها. ومن ذلك النهي عن القتال فيها. على قول من قال أن القتال في الأشهر الحرم لم ينسخ - [00:07:00](#)

تحريمه عملاً بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها. ومنهم من قال أن تحريم القتال فيها منسوخ أخذاً بعموم نحو قوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقتلونكم كافة. أي قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين. ولا تخصوا أحداً منهم بالقتال دون - [00:07:20](#)

بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك. قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم. لا يألونهم من الشر شيئاً. ويحتمل أن كافة حال من الواو فيكون معنى هذا وقاتلوا جميعكم المشركين. فيكون فيها وجوب النفي على جميع المؤمنين. وقد نسخت - [00:07:40](#) فهذا الاحتمال بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة. وأعلموا أن الله مع المتقين بعونه ونصره وتأييده. فلتحرصوا على استعماله ما لتقوى الله في سرهم وعلمكم والقيام بطاعته خصوصاً عند قتال الكفار فإنه في هذه الحال ربما ترك المؤمن العمل بالتقوى في معاملته - [00:08:00](#)

الكفار الأعداء المحاربين زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا النسيء هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم. وكان من جملة بدعهم الباطلة أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال في بعض أوقات الأشهر الحرم رأوا بآرائهم الفاسدة أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم التي حرم الله القتال - [00:08:20](#)

فيها وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم أو يقدموه ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا. فإذا جعلوه مكانة أحلوا القتال فيه وجعلوا الشهر الحلال حراماً. فهذا كما أخبر الله عنهم أنه زيادة في كفرهم وضلالهم. لما فيه من المحاذير. منها أنه مبتدع - [00:09:10](#)

من تلقاء أنفسهم وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه. والله ورسوله بريئان منه. ومنها أنهم قلبوا الدين. فجعلوا الحلال حراماً والحرام حلالاً ومنها أنهم موهوا على الله بزعمهم وعلى عباده. ولبسوا عليهم دينهم واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله - [00:09:30](#)

ومنها أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار عليها يزول قبحها عن النفوس. وربما ظن أنها عوائد حسنة فحصل من الغلط والضلال بما حصل ولهذا قال يضل به الذين كفروا يحلون ما حرم الله ويحرمون ما حرم الله. أي ليوافقه - [00:09:50](#) في العدد فيحل ما حرم الله. زين لهم سوء أعمالهم أي زينت لهم الشياطين الأعمال السيئة. فرأوها حسنة بسبب العقيدة سيدتي

المزينة في قلوبهم والله لا يهدي القوم الكافرين. اي الذين انصبغوا بالكفر والتكذيب في قلوبهم. فلو جاءتهم كل اية لم يؤمنوا -

[00:10:10](#)

قال الله تعالى اعلم ان كثيرا من هذه السورة الكريمة نزلت في غزوة تبوك. اذ ندب النبي صلى الله عليه وسلم الى غزو الروم. وكان الوقت حارا والزاد قليلا. والمعيشة عسرة. فحصل من بعض المسلمين من التثاقل ما اوجب - [00:10:30](#)

ان يعاتبهم الله تعالى عليه ويستنهضهم. فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تعملون بمقتضى الايمان وداع اليقين من مبادرة لامر الله والمصارعة الى رضاه وجهاد اعدائه والنصرة لدينكم. فما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثقلتم الى الارض - [00:11:10](#)
اي تكاسلتم وملتم الى الارض والدعت والسكون فيها. ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ اي ما حالكم الا حال من رضي بالدنيا حالها ولم يبالي بالآخرة. فكأنه ما امن بها. فما متاع الحياة الدنيا التي مالت بكم وقدمتموها على الآخرة - [00:11:30](#)
الا قليل افليس قد جعل الله لكم عقولا تزنون بها الامور وايها احق بالاثار. افلست الدنيا من اولها الى اخرها لا لها في الآخرة. فما مقدار عمر الانسان القصير جدا من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها. فيجعل سعيه وكده وهمه - [00:11:50](#)
هو ارادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالكادار. المشحونة بالآخطار. فباي رأي رأيتم اثارها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم التي فيها ما تشتهي النفس وتلد الاعين وانتم فيها خالدون. فوالله ما اثر الدنيا على الآخرة من وقر الايمان في قلبه -

[00:12:10](#)

ولا من جزل رأيه ولا من عد من اولي الباب. ثم توعدهم على عدم النفيير فقال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضرروا الا تنفروا يعذبكم عذابا - [00:12:30](#)

من اليما في الدنيا والآخرة. فان عدم النفيير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لاشد العقاب. لما فيها من المضار الشديدة. فان قال لي فقد عصى الله تعالى وارتكب لنهييه ولم يساعد على نصر دين الله ولا ذب عن كتاب الله وشرعه ولا اعان اخوانه المسلمين على عدوهم الذي - [00:12:57](#)

يريد ان يستأصلهم ويمحق دينهم. وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الايمان. بل ربما فت في اعضاء من قاموا بجهاد اعداء الله. فحقيق من هذا حاله ان يتوعده الله بالوعيد الشديد؟ فقال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ثم لا يكون - [00:13:17](#)
وامثالكم ولا تضروه شيئا فانه تعالى متكفل بنصر دينه واعلاء كلمته. فسواء امتثلتم لامر الله او القيتموه ورائكم ظهريا. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء اراده. ولا يغالبه احد - [00:13:37](#)

اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم اي الا تنصروا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم. فالله غني عنكم لا تضرونه شيئا. فقد - [00:13:55](#)

بصره في اقل ما يكون واذله اذ اخرجه الذين كفروا من مكة. لما هموا بقتله وسعوا في ذلك وحرصوا اشد الحرص. فالجأوا الى ان يخرج ثاني اثنين اي هو وابو بكر الصديق رضي الله عنه اذ هما في الغار اي لما هربا من مكة لجأ الى غار - [00:14:45](#)

ثور في اسفل مكة فمكث فيه ليبرد عنهما الطلب. فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة. حين انتشر الاعداء من كل جانب ليقتلوهما فانزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال. اذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه ابي بكر - [00:15:05](#)

ما حزن واشتد قلقه لا تحزن ان الله معنا بعونه ونصره وتأنيده. فانزل الله سكينته عليه اي الثبات والطمأن الطمأنينة والسكون المثبتة للفؤاد. ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال لا تحزن ان الله معنا. وايده بجنود لم تروه - [00:15:25](#)

وهي الملائكة الكرام الذين جعلهم الله حرسا له وجعل كلمة الذين كفروا السفلى اي الساقطة المخذولة فان الذين كفروا قد كانوا على حرب قادرين في ظنهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم واخذه. حنقين عليه فعملوا غاية مجهودهم في ذلك. فخذلهم -

[00:15:45](#)

الله ولم يتم لهم مقصودهم بل ولا ادركوا شيئا منه. ونصر الله رسوله بدفعه عنه. وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع. فان النصر على قسمين نصر المسلمين اذا طمعوا في عدوهم بان يتم الله لهم ما طلبوا وقصدوا. ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم. والثاني

المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر. فنصر الله إياه أن يرد عنه عدوه ويدافع عنه. ولعل هذا النصر انفع النصرين. ونصر الله رسوله إذا أخرجهم الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع. وقوله وكلمة الله هي العليا. أي كلماته القدسية وكلمات - 00:16:25

الدينية هي العالية على كلمة غيره. التي من جملتها قوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين. أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. وأن جندنا لهم الغالبون. فدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان. بالحجج - 00:16:45

الواضحة والأيات الباهرة والسلطان الناصر. والله عزيز لا يغالبه مغالب ولا يفوته هارب. حكيم يضع الأشياء مواضعها ويؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر اقتضته الحكمة الإلهية. وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصه - 00:17:05

لم تكن لغيره من هذه الأمة. وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة والصحة الجميلة. وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة ولهذا عدوا من أنكر صحة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم كافراً. لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها. وفيها فضيلة السكينة -

00:17:25

وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه وثقته بوعده الصادق وبحسب إيمانه وشجاعته. وفيها أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين. مع أن الأولى إذا نزل بالعبد -

00:17:45

أن يسعى في ذهابه عنه فإنه مضعف للقلب موهن للعزيمة سبيل الله ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون يقول تعالى لعباده المؤمنين مهيجا لهم على النفير في سبيله. فقال أنفروا خفاً وثقالاً أي في العسر واليسر - 00:18:05

والمكره والحر والبرد وفي جميع الأحوال. وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله. أي أبذلوا جهدكم في ذلك. واستفرغوا في المال والنفس. وفي هذا دليل على أنه كما يجب الجهاد في النفس. يجب الجهاد في المال. حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك. ثم قال -

00:18:45

ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون. أي الجهاد في النفس والمال خير لكم من التقاعد عن ذلك. لأن فيه رضا الله تعالى والفوز بالدرجات العالية عنده والنصر لدين الله. والدخول في جملة جنده وحزبه - 00:19:05

قاصداً للتبعوك ولكن كان معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون. لو كان خروجهم لطلب العرض القريب أي منفعة دنيوية سهلة التناول وكان السفر سفراً قاصداً أي قريباً سهلاً للتبعوك لعدم المشقة الكثيرة - 00:19:25

لكن بعودة عليهم الشقة أي طالت عليهم المسافة وصعب عليهم السفر. فلذلك تناقلوا عنك. وليس هذا من أمارات العبودية. بل حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال. القائم بالعبادة السهلة والشاقة. فهذا العبد لله على كل حال. وسيحلفون بالله - 00:19:55

لو استطعنا لخرجنا معكم أي سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج أن لهم أعذاراً وأنهم لا يستطيعون ذلك. يهلكون أنفسهم قعود والكذب والأخبار بغير الواقع. والله يعلم أنهم لكاذبون. وهذا العتاب إنما هو للمنافقين الذين تخلفوا عن النبي صلى الله - 00:20:15

عليه وسلم في غزوة تبوك. وأبدوا من الأعذار الكاذبة ما أبدوا. فعفا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم بمجرد اعتذارهم. من غير أن يمتحنهم فيتبين له الصادق من الكاذب. ولهذا عاتبه الله على هذه المسارعة إلى عذرهم فقال - 00:20:35

عسى الله يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك أي سامحك وغفر لك ما أجريت. لما أذنت له في التخلف حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين بأن تمتحنهم ليتبين لك الصادق من الكاذب فتعذر من

يستحق - 00:20:53

والعذر ممن لا يستحق ذلك والله عليم بالمتقين. ثم أن المؤمنين بالله واليوم الآخر لا يستأذنون في ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم. لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان. يحملهم على الجهاد - 00:21:23

من غير أن يحثهم عليه حاف. فضلاً عن كونهم يستأذنون في تركه من غير عذر. والله عليم بالمتقين فيجازيهم على ما قاموا به من التقوى ومن علمه بالمتقين أنه أخبر أن من علاماتهم أنهم لا يستأذنون في ترك الجهاد - 00:21:53

الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر واغتابت قلوبهم وارتابت قلوبهم فهم انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم اي ليس لهم ايمان تام ولا يقين صادق. فلذلك قلت رغبتهم في الخير وجبنوا عن القتال. واحتاجوا ان يستأذنوا في ترك القتال - 00:22:13

فهم في ريبهم يترددون. اي لا يزالون في الشك والحيرة - 00:22:43